الجاذبية والتنمية الترابية: رهان جديد للسياحة الجبلية: حالة مدينة القصيبة

أ.عزيز مزيان، جامعة السلطان مولاي اسليمان بني ملال- المغرب

ملخص: لقد أصبحت اليوم كل المناطق والمجالات تتنافس، من أجل استقطاب مختلف عوامل التطور والتقدم (الاستثمارات، الكفاءات، السكان) بالإضافة إلى ذلك تتسابق في جذب السياح، وذلك عبر توظيف كل مواردها الترابية كقدرات للاستقطاب، لما لذلك من انعكاس إيجابي يعود عليها بالنفع ويساهم في خلق التنمية الترابية بها، فالبحث يهدف إلى إبراز دور الفاعلون في تحويل مؤهلات المناطق الجبلية إلى قدرات توظف في الجذب السياحي وتساهم في تنمية هذه المجالات الجبلية، حيث تم اختيار مدينة القصيبة الواقعة بجبال الأطلس المتوسط بالمغرب كمجال للدراسة.

الكلمات المفتاحية: الجاذبية، السياحة الجبلية، التنمية الترابية، الفاعلون.

Abstract: Nowadays, different domains in different geographies are in a fierce rivalry to attract investments and skilled workers. Particularly there is a competition among regions to attract tourists through developing local natural attractions thanks to the latter's benefits on local residents and contribution to local development... In this context, the present research strives to demonstrate the indispensible role of different agents in promoting local development through wiping the dust the invaluable natural touristic sites so as to attract tourists from different parts of the globe. In this regard, the town of Elksiba has been chosen as a case study. Elksiba is located in the Atlas Mountain, Morocco.

Keywords: Mountain Tourism, Loca Development, Natural Attractions, Development Agents.

تقديم إشكالي:

لقد أضحت السياحة من بين القطاعات المهمة التي يعتمد عليها في العديد من الدول، وذلك لكون هذه الأخيرة لها عدة انعكاسات تحرك عجلة التنمية وتساهم في تطور المجتمع، ولذلك صارت اليوم كل المجالات تتنافس في استثمار قدراتها ومواردها الترابية للرفع من جاذبيتها السياحية.

بين المناطق التي أصبحت اليوم تعمل على تحسين جاذبيتها المجالات الجبلية باعتبارها تزخر بالعديد من المؤهلات والقدرات المادية واللامادية والتي بإمكانها أن تشكل عوامل للجذب السياحي إذا ما تم تدبيرها واستثمارها بشكل ناجع من طرف مختلف المتدخلين والفاعلون في المجال حتى يكون لها دور في التنمية الترابية لمدينة القصيبة باعتبارها مجالا للدراسة، وبالتالي سنعالج الموضوع من خلال التساؤلات التالية: كيف تساهم الجاذبية السياحية في خلق تنمية ترابية؟

ما طبيعة القدرات السياحية التي تحظى بها مدينة القصيبة؟ وكيف يمكن اعتبار تثمين القدرات الترابية مدخلا للجاذبية السياحية بمدينة القصيبة ورهان في تنميتها الترابية؟.

1. الإطار المنهجي والنظري للدراسة:

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى الوقوف على عدة جوانب أهمها:

- الوقوف عند مفهوم الجاذبية الترابية وأهم مرتكزاتها في تنمية مدن المناطق الجبلية
- تشخيص أهم القدرات مدينة القصيبة باعتبارها مدخلا أساسيا للجاذبية السياحية
- الوقوف عند تدخلات الفاعلون في تثمين القدرات السياحية للمدينة ورهانات التنمية الترابية.

أهمية الدراسة: تتجسد أهمية الدراسة في كونها تتأسس على مقاربة تحليلية في إبراز مكانة السياحة في التنمية الترابية، من خلال تحريك الجانب الاقتصادي لهذه المجالات الجبلية "حالة مدينة القصيبة" وما يكون لذلك من انعكاس على المستوى الاجتماعي من خلال الرقي به، وهذا لن يتأتى إلا عبر وضع إستراتيجية تدخلية لمختلف الفاعلون تنطلق من تشخيص قدرات هذه المجالات، مرورا بتدبير محكم لها، وصولا إلى تثمينها وتسويقها، لبناء صورة مميزة لهذه المناطق تمكنها من الرفع من جاذبيتها السياحية.

فرضيات الدراسة: تنطلق الدراسة من فرضيات أساسية:

- أن تقوية الجاذبية السياحية يشكل عاملا في التنمية الترابية بالمجالات الجبلية.
- تزخر مدينة القصيبة بقدرات متنوعة تشكل إطارا محفزا للقطاع السياحي.
- ضعف تدخلات الفاعلون وغياب إستراتيجية لتطوير القطاع السياحي يحد من دوره التنموي بمدينة القصيبة.

الجاذبية السياحية للمدن كمرتكز للتنمية الترابية:

سياق مفهوم "الجاذبية الترابية: تبقى العولمة من بين الظواهر الأساسية التي تفرض نفسها اليوم في النقاشات الجارية لما تمنحه من " فرص وتهديدات" يكون لها الوقع على المجالات، ومن بين إفرازاتها مفهوم "**الجاذبية**" والذي يرتبط ارتباطا قويا بالاقتصاد وخصوصا الجانب المتعلق بالمقاولات، لكن اليوم أصبح هذا المفهوم يمس حقولا أخرى من بينها المجالات الحضرية بشكل عام والتي تطورت مع مرور الوقت إلى أن صارت عبارة عن وحدة صغيرة في إطار المدينة.

ويمكن تعريف جاذبية التراب بقدرته خلال فترة معينة على استقطاب مختلف الأنشطة الاقتصادية، وعوامل الإنتاج المتنقلة(المقاولات، رجال الأعمال، رؤوس الأموال)، والتي تمثل انعكاس لأداء التراب خلال فترة معينة (Pegui Yannick Felix, 2012)، بالإضافة إلى قدرة الفاعلون المحليون على جذب الموارد الخارجية (المقاولات، والسياح)، ومن تم فإن الجماعات

الترابية تعمل على وضع برامج تحفز على التقاطها، كما تعمل على تعزيز قدراتها لجذبها (Satre Buisson Joël, 2014).

ظروف بروز الجاذبية الحضرية: إن جاذبية المدن مستمدة من نطاق أوسع للتراب في مستواه الأعلى (الدولي) الذي يغير محيطه وبيئته بشكل كامل من خلال موقعه عند ظهور المنافسة في مجالات مختلفة (اقتصادية، ثقافية، سياسية) وبالتالي تظهر دينامية في عوامل الإنتاج من طرف مختلف الفاعلون، إن عملية الجذب تفرض على التراب وخصوصا المدن إعادة النظر في قدراتها لجلب أو الاحتفاظ بالسياح والكفاءات والمقاولات، ولمواجهة التنافسية اليوم أصبحت للجاذبية أهمية قصوى، بل أصبحت شرطا للبقاء والعيش في هذا السياق التنافسي، وفي هذا الإطار يرى Jean-Pierre Charbonneau " أن التقدم لتحقيق التنمية يتطلب الجاذبية والتي هي أحد عواملها الضرورية"(Jean-Pierre Charbonneau,2008) وبالتالي فهي ليست وضعية حديثة لأنها كانت جوهر ظهور المدن منذ العصور القديمة، وفي الوقت الحاضر صارت هذه الظاهرة أكثر وضوحا وذلك لسرعة حركية السكان والسياح، والشركات، والطلاب، والخبرات بفعل عوامل جذب مختلفة، وهذا ما يدفع إلى البحث واكتشاف العوامل المحفزة والدوافع التي تجعل المدن جذابة خصوصا على المستوى السياحي.

عوامل الجاذبية الترابية: إن جاذبية المجال مبنية على عوامل اقتصادية وجغرافية وبشرية وتاريخية. كل العناصر تتظافر بشكل مجتمع سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لتشكل جاذبية التراب وحمايتها (Jean-Pierre Charbonneau,2008)، ويمكن تصنيف العوامل التي تشكل جاذبية التراب حسب(Benoit meyronin, 2006) على النحو التالي:

المكون الجغرافي للتراب: وهذا هو العامل الأكثر وضوحا وتجسده الموارد الطبيعية والمواد الأولية الموجودة بالمجال، فضلا عن الخصائص الطبوغرافية، والمناخ، والموقع.

المكون العضوي أو التنظيمي: ويهم الخدمات العمومية(الصحة، الثقافة، الترفيه، الرياضة، التجارة) التي توفر لجميع الفئات الاجتماعية سواء للشيوخ أو الشباب، الرجال والنساء، الأغنياء والفقراء.

المكون الاقتصادي والبنية التحتية: ويتعلق بأنواع الأنشطة، وتوزيع القطاعات، ودرجة هيكلة القطاعات المختلفة، بالإضافة للبنية التحتية المتعلقة بالمواصلات والتي يشكل فيها النقل عائقا رئيسيا أمام الجاذبية، إذ أن وجوده ليس كافيا، وإنما من الضروري أن يكون ذات جودة لتلبية حاجيات مستعمليه.

مدينة القصيبة: إطار جغرافي وتاريخي محفز.

تنتمي مدينة القصيبة إلى الشطر الجنوبي الغربي من الأطلس المتوسط(محمد بريان، 2006)، لذلك تحيط بها تضاريس مختلفة أهمها المرتفعات المطلة عليها، حيث يحدها شمالا جبل "أنثار"(1108م)، وجنوبا ""ثلاث اومرحيل" (1433م)، وشرقا "أوجا نيمهيواش" (1447م)، في حين يتميز الجزء الغربي من المدينة بالانبساط.

تنتمي بلدية القصيبة إداريا إلى إقليم بني ملال المنتسب لجهة بني ملال-خنيفرة، ويرجع تاريخ إحداثها إلى سنة 1992 بعد التقسيم الإداري للجماعة القروية ل "آيت ويرة"، تنتشر على مساحة تبلغ 14 كلم^2، وتحدها الجماعة القروية دير القصيبة من كل الجهات.

للمدينة موقع مميز يبعد بـ 4 كلم عن الطريق الوطنية رقم 8 الرابطة بين فاس ومراكش، وعن القطب الجهوي بني ملال ب 45 كلم، وعن مدينة خنيفرة ب 80 كلم، وتعد المعبر الوحيد لساكنة المراكز الجبلية الموجودة بالأطلس المتوسط (ناوور- أغبالة) عبر الطريق الجهوية 317 التي تربطها بمدينتي بني ملال وقصبة تادلة(أنظر الخريطة رقم1).

وقد ارتبط التعمير بالمنطقة من خلال القصبة التي شيدها موحى وسعيد بساريف، واتخذها مقرا لقيادته، وجعل منها مقرا له حيث عمل على توسيعها، وأنشأ فيها سوقا نشيطا جلب إليه التجار من تادلة، وبني ملال، وأبي الجعد، وانطلاقا منها، "عرفت قرية القصيبة نموا عمرانيا مطردا، وازدهرت فيها التجارة نظرا لموقعها الجغرافي على طريق المنتجعين بين الجبل والأزغار ونظرا لاستتباب الأمن في المناطق المجاورة، فقد قصدها التجار من مدن مختلفة وعرف الناس سلعا متنوعة"(محمد البكراوي، 2000).

مع إخضاع المجال المدروس للسلطة الفرنسية سنة 1927، والقضاء على مقاومة موحى وسعيد، منحت للمنطقة وظيفة جديدة، حيث جعلتها مجالا للاستجمام والراحة وممارسة رياضات عديدة، ولذلك عملت السلطات على توفير تجهيزات وبنيات تحتية ومرافق ضرورية لممارسة السياحة، كما شيد بها مركزا للراحة "مصطاف تاغبالوت"، كما هو الشأن بالعديد من المراكز السياحية بالأطلس المتوسط(فضيلة شتو، 2005).

خريطة رقم 1: توطين مدينة القصيبة ضمن إقليم بني ملال

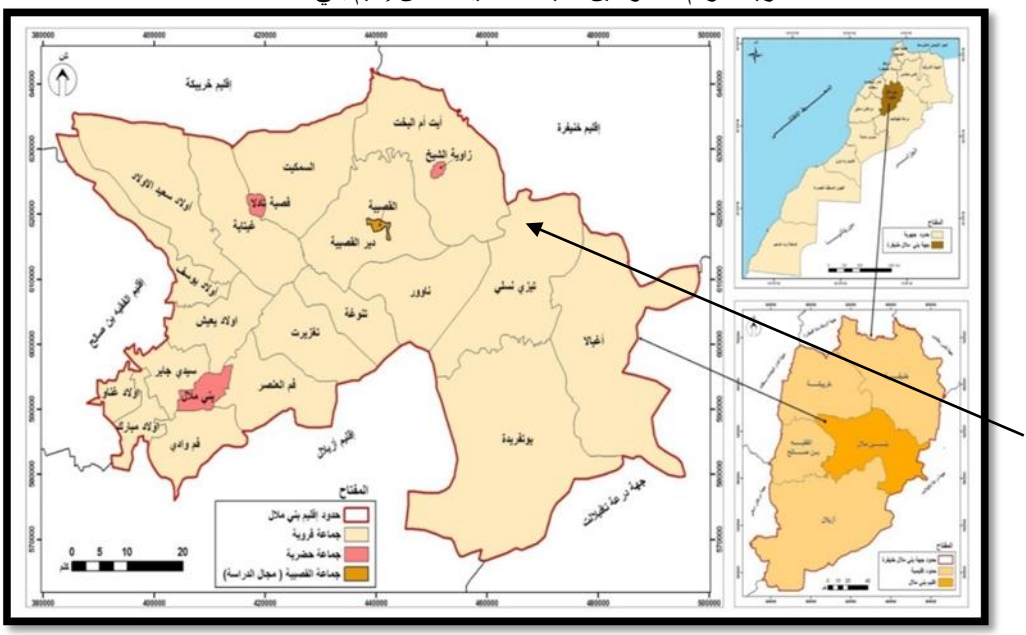

المصدر: تقرير اللجنة الاستشارية للجهوية المتقدمة

مدينة القصيبة: تشخيص الموارد الترابية:

يتطلب تأهيل أي مجال سياحيا الرجوع إلى بعض العوامل الطبيعية والبيئية مثل: التضاريس، المناخ والشبكة الهيدرولوجية، والتاريخية والديمغرافية والاقتصادية، لأن كل هذه العناصر تتداخل وتتفاعل فيما بينها لتمنحنا صورة عن قدرات المجال، ولتلعب دورا هاما في تحديد توجهات تثمين وتدبير الموارد الترابية.

العناصر الطبيعية: أهم قدرات التنمية السياحية:

مدينة القصيبة والتنوع التضاريسي:

تنتمي مدينة القصيبة إلى أطلس بني ملال، وبحكم موقعها في الإقليم وبمنطقة الدير، تضم تضاريس مختلفة، أهمها المرتفعات الجبلية المطلة عليها، حيث يحدها شمالا جبل أنثار (1108م) وجنوبا ثلاث أو مرحيل(1433م)، وشرقا أوجانيمهيوش(1447م)، وتتميز هذه الجبال بوجود قمم

عالية من حيث الشكل، حيث تأخذ شكلا نقطيا أحيان كقمة أفلان نيفران (1041م)، وأحيانا أخرى تكون خطية كقمة تاوريرت نأيت موسى(1361م)، وتتوالى على شكل أعراف تتخللها إفريزات صخرية، وبالتالي ويشكل عامل اختلاف التضاريس عنصرا مهما في إعطاء المجال جمالية أكثر خاصة بوجود المناظر الجبلية والسهلية، هذا الإختلاف يمنح المدينة خصائص طبيعية نادرة تسر الناظرين ويزيد من رغبة السائح في التمتع بالمجال.

المناخ: اختلافه وتنوعه وراء تحديد واقع السياحة:

يلعب المناخ دورا أساسيا في خلق المجالات السياحية، وفي استقطاب أعداد متباينة من السياح باختلاف الفصول، ففي فصل الشتاء، تشكل الجبال المنطقة الملجأ الرئيسي لهواة رياضات التزحلق، وفي فصل الصيف، تستقطب عشاق المغامرة والتشميس ورياضة المشي، وللمدينة نصيب من هذه الإمكانيات، إذ يغلب عليها المناخ القاري البارد شتاء والمعتدل صيفا. ونتيجة لذلك تعرف المنطقة تدنيا واضحا في الحرارة، مما يؤدي إلى تساقطات مطرية وثلجية.

المبيان رقم 1: كمية التساقطات ب(ملم) بين سنتي 2000 و2014.

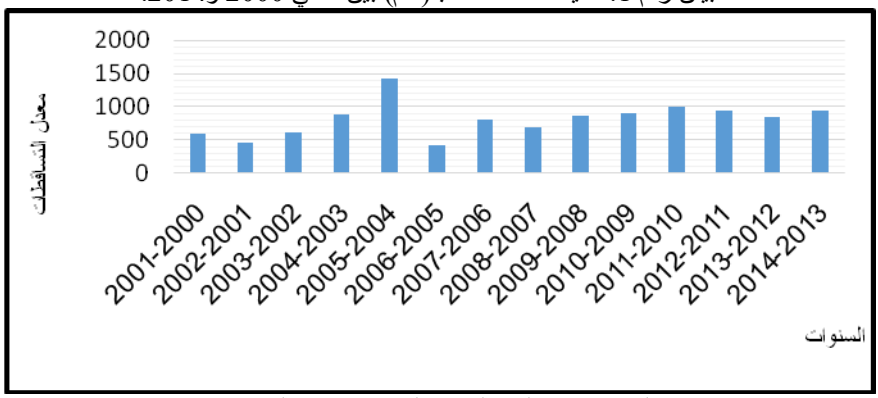

المصدر: مصلحة المياه والغابات بمدينة القصيبة

ومن خلال المبيان، يتضح أن التساقطات المطرية، تتباين من سنة لأخرى، كما تعرف تباينات واضحة خلال شهور نفس السنة، فالتساقطات السنوية تبرز تفاوتات مهمة من خلال الفترة المرجعية 2000-2014، حيث سجلت 1427.5 ملم سنة 2004-2005، وسنة 2005-2006 التي لم تتجاوز فيها التساقطات 485 ملم، إلا أنه وبالرغم من هذه التفاوتات، يظل معدل التساقطات للفترة الممتدة ما بين 2009-2008إلى 2013-2014 مهما بلغ767 ملم، وكان للتساقطات تأثير بالغ على الغطاء الغابوي.

كما تشهد مدينة القصيبة تساقطات ثلجية تمتد فترتها فوق أعالي جبال المنطقة من دجنبر إلى فبراير، ويصل عدد أيامهاإلى 15 يوما تقريبا، ويتراوح سمكها ما بين 10 و1 متر،"ويمكن أن تسقط فوق ارتفاعات (2000 م)، وقد تنزل في بعض الأحيان إلى ارتفاع (1100 م) مثلا أفلا إفران.

عيون مدينة القصيبة وأوديتها:

واد نو حليمة: تعتبر الروافد المائية الأتية من جبال "تداوت نعاري" و"بوأشتو" المتواجدة بشمال-شرق مدينة القصيبة، المصدر الأساس لواد تاغبالوت نوحليمة، حيث كلما عرفت هذه الجبال تساقطات مطرية أو ذوبان ثلوجها، إرتفع صبيب مجرى الواد من 35م3/ث ليصل إلى 88م3/ث(مونوغرافية مدينة القصيبة، 2016)، هذا بالإضافة إلى العيون التي تغدي مجراه، وتظل عين تاغبالوت نو حليمة أبرزها.

وينساب هذا الواد ليمر على المدينة بإتجاه الجنوب- الشمال بمحاذاة الطريق رقم 317. حيث ينطلق من مدخل المدينة، على مستوى المخيم الصيفي، ويخترق منطقة الإصطياف بأكملها بقناة مبنية.

شعبة المخيم: يبلغ طولها حوالي 7,5كلم، وتصب في الجزء المهيأ من واد تاغبالوت نو حليمة، و قد تم بناء المخيم في مجرى الشعبة، فهيئت هذه الأخيرة على شكل قناة مغطاة تعبر المخيم بأكمله.

شعبتا عين الخير: يتعلق الأمر بشعبتين تصبان في جهتي حي عين الخير:

تفضي الشعبة الأولى إلى شرق الحي، على طول يبلغ 0.5كلم، بصبيب يصل إلى حوالي 2.3 م3/ث، وتسلك مياه هذه الشعبة أزقة حي العين عبر قنوات، لتبلغ شارع حسن الثاني، لتصب المياه بعد ذلك في أزقة حي السلام وتواصل تدفقها حتى شارع بئر أنزران.

بينما تفضي الشعبة الثانية إلى غرب حي عين الخير، بطول يصل إلى 1.5كلم، و بصبيب يبلغ 23 م3/ث، حيث يخترق المدينة بأكملها بواسطة قناة مستطيلة من الخرسانة، وقد تم إنجاز بعض البنايات و أخرى قيد الإنجاز بمحاذاة القناة. تتميز مياه هاتين الشَّعبتين بحملهما لمواد صلبة جد كثيرة وبجريان ذي سرعة كبيرة.

يعتبر هذا التنوع والتعدد في العيون والمجاري موردا مهما للمدينة.

منتجع تاغبالوت: معلمة سياحية محلية ودولية: يقع مصطاف تاغبالوت نوحليمة على بعد 2كلم شمال شرق مدينة القصبة على الطريق الإقليمية 317 المتجهة نحو أغبالة، ويحدها شرقا أوجا نيمهواش (1447م)، وغربا أزرونايت مسعود (1606م)، وجنوبا بو تاركا (1305م).

ويعد هذا الموقع السياحي متنفسا لساكنة المدينة وكذلك للزوار الوافدين عليها من مختلف المدن المغربية، أو السياح الأجانب سواء عند عبورهم إلى المدن السياحية الكبرى (فاس – مراكش) وخلال عبورهم إلى إملشيل(الموسم الثقافي الشهير)، كما تعد نقطة استراحة أو استكشاف للمنطقة حيث يوفر للزوار مناخا شبه رطب، عندما تشتد حرارة الصيف، فهذا المكان يتميز بتنوع بيولوجي وإيكولوجي، يتجلى أساسا في تواجد واد تاغبالوت نوحليمة الذي تغدي مجراه العديد من العيون والشعاب الآتية من الجبال المحيطة به، إلى جانب غطاء غابوي شاسع ومتنوع (البلوط الأخضر، العرعار، الصنوبر).

ونظرا لأهمية هذا الفضاء الطبيعي فقد حطت به أعداد مهمة من مراكز التخييم (مخيم البريد، مخيم بئر الوطن، المخيم الجماعي ومخيم القوات المساعدة)، كما يتوفر على مسبح وملاعب رياضية، ومساحات خضراء مشجرة، وأخرى مخصصة للأنشطة التجارية.

وبالنظر إلى هذا الغنى وهذه السمات التي يتميز بها هذا الموقع السياحي فمن اللازم الإهتمام به، وجعله في مستوى استقبال السياح الوافدين عليه سواء المحليين أو الأجانب وذلك عن طريق إعداده وتجهيزه على أحسن مستوى، عبر إحداث وحدات إيوائية مصنفة، و الرفع من الخدمات السياحية، نقل سياحي، استثمارات سياحية.

هذه إذن أهم المؤهلات الطبيعية، لكن هذه العناصر لوحدها غير كافية للتنمية السياحية بالمنطقة، فلا بد من منتوجات ومؤهلات سياحية بشرية(من ثقافة وتراث معماري أصيل، وصناعة حرفية موروثة).

مدينة القصيبة والعناصر البشرية والثقافية

قصبة موحى وسعيد الوراوي: ظل قصر قبيلة آيت ويرا معلمة تاريخية تعكس بجلاء ضغط هاجس استتباب الأمن خلال فترة السيبة في هذه الربوع، حيث استولى الخوف من أن تعود قبائل المنطقة (خاصة قبيلة سمخان) إلى العصيان من جديد، وبالتالي تم تشييده إلى جانب العديد من القصبات سواء في ناوور او بن شرو، إغرم لعلام، على يد موحى وسعيد الوراوي في عهد

المولى سليمان حوالي 1850، غير أنه كان أكبرها والمقر الرئيسي لقائد قبيلة ايت ويرا (محمد البكراوي، 2000).

وكان هذا البناء الضخم في حد ذاته إنعكاس لنفود القائد موحى وسعيد، حيث كان يستقبل فيها أعيان ووجهاء القبائل، ويعقد معهم اتصالات، فالقصبة إذا زادت في اتساع نفوذه وفي عدد أتباعه.

وبالتالي لا أحد ينكر مساهمة هذه القصبة التي شيدت بمدينة القصيبة بحي ساريف، في خفض شوكة القبائل الثائرة وهدت كيانها، فإستقامت الأمور، وسكنت الرعية وهدأت الجبال التي كانت مرتعا للحروب فيما مضى.

الصناعة التقليدية: الحرف التقليدية تضفي على المنتوج المحلي طابعا خاصا يتجلى في تنوعه وأصالته الحضارية والتاريخية، ومن أهم الصناعات التقليدية الفنية الإنتاجية بالقصيبة نجد ما يلي:

الزربية: تعد القصيبة من بين المناطق بالأطلس المتوسط التي تتميز بغزل نسائها للزرابي، إذ أن أغلبية نساجات المنطقة ينسجن منتوجاتهن لبيوتهن، وهناك من يقمن ببيعها للسياح عن طريق تأسيس جمعيات، أو مرشد سياحي أو وسطاء آخرين. ويكثر الطلب على هذه المنتوج خاصة في الصيف للرواج الذي تعرفه المنطقة، إلى جانب كونه فصل الأعراس بإمتياز، وتتميز الزربية الوراوية بقوة أشكالها الهندسية والزخرفية المنسوجة بألوان متعددة مستوحات من الطبيعة.

عمل ميداني 2016:

الملابس: استطاعت القصيبة عبر فترات زمنية مختلفة أن تفرز نوعا من المنتوجات تحمل طابعا محليا كالقفطان، وتكشيطة والجلاب، هذه المنتوجات يعتمد في إنتاجها على الحرير، سفيفة والعقاد، نظرا لتوفر المادة الخام في المنطقة من صوف وشعر الماعز، وما يميز هذه المنتوجات هي أنها أضحت تتوفر على أيادي تلقت تكوينا في هذا المجال سواء بالنسبة للذكور أو الإناث.

النقش على الخشب: نظرا لتوفر القصيبة على مجال غابوي شاسع يحيط بها، فإن صناعة الخشب من الحرف الأكثر إنتشارا في القصيبة، حيث يشتغل الخشب من طرف الصناع التقليديين في صناعة مجموعة من الأدوات سواء المرتبطة بالقطاع الفلاحي كالمحراث الخشبي، أو الادوات التي تدخل في البناء مثل: الأبواب والأقفال أو الأدوات التي تدخل في صناعة النسيج مشط "إمشطن" والقرشال "إيزكان".

الحرف النباتية: تعرف الحرف النباتية حضورا مهما في الأسواق التقليدية والسياحة والبيوت المغربية، خاصة في بيوت القصيبة، وتتميز هذه الحرفة التقليدية بكونها تمارس من طرف النساء والرجال، عكس عدد كبير من الحرف التي تقتصر على أحد الجنسين فقط، كما يتم تقسيم الأدوار بين الجنسين وفقا لنوع المنتوج المرغوب فيه، حيث تتكلف النساء فقط بصنع نماذج للتزيين المكونة من مادة الدوم. أما المنتوجات القصبية والمنتوجات المصنوعة من مادة الدوم خصوصا ذات الحجم الكبير مثل "الشواري" و"السلو" و"أخزام" فهي من اختصاص الذكور، بالإضافة

إلى منتوجات أخرى يتفنن ويدع في صنعها الحرفيين المحليين مثل: "الشاشية" (الترازان) و"القفة" (تزكاوت).

أضرحة المدينة: أماكن روحية ذات وظائف سياحية:

تلعب الخصائص الثقافية دورا كبيرا في حركة السياحة الدولية، فالأضرحة والزوايا والصالحين من مختلف الديانات وكذلك أضرحة القادة المصلحين والمفكرين مواقع يعول عليها في استقطاب السياح بنسب مختلفة، وقد دعت العديد من التظاهرات الدولية إلى تعزيز مكانة المعالم الدينية في إطار السياحة الثقافية.

وفي هذا الإطار تتوفر المدينة على عدة أضرحة تتمثل في ضريح سيدي بوبكر، بوتسافت، سيدي محمد بن يوسف، كما يتوفر محيطها على عدد مهم من الأضرحة مثل (سيدي بن داوود ،وسيدي إبراهيم ويعقوب) ظلت مراكز ثقافية لتلقين العلم وتحفيظ القران للطلاب ومآوي لكل عابر سبيل أو غريب، ومكان إجتماعي للتجمع في الأعياد والمناسبات، وملاذ للحائرين في مشاكلهم اليومية ومصحة للعلاج النفسي، كما يقام فيها كل سنة مواسم تستقطب السياح المحلين والأجانب.

صورة رقم 1: ضريح سيدي محمد بن يوسف.

المصدر: عمل ميداني2017

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الزوايا قد فقدت كثيرا من أدوارها التقليدية لكن يمكن إعادة ما يمكنه أن يخدم التنمية المحلية ويلعب أدوارا إيجابية في التنمية السياحية من خلال إدماجها في مشروع لتأهيل معالم المدينة التاريخية.

المواسم وللمنتوج الثقافي المحلي:

يعد الموسم ظاهرة اجتماعية متجذرة في الثقافات المحلية، حيث يجسد احتفالا بذكرى أو مناسبة سواء دينية، تاريخية، أو اقتصادية (نهاية موسم الحصاد مثلا).

الصورة رقم 2: موسم قبيلة أيت ويرة خلال شهر أبريل بالسوق الأسبوعي

للقصيبة.

المصدر: عمل ميداني 2017

وأهم ما يميز هذا الموسم هو إقامة مجموعة من الأنشطة الثقافية المحلية والجهوية، تنظيم معارض للصناعة الحرفية المحلية، بالإضافة إلى ما تقدمه مجموعة من الفرق الفلكلورية، كما يقصد المدينة زوار من مختلف الأرياف والمدن المجاورة، مما بجعلها تعيش رواجا سياحيا مهما خلال فترات المواسم.

استثمار هذه الخصائص يحتاج الى مجهود بعد أن أصبح الآن من المفيد بموازات الفقرات الغنائية والفنتازيا، إقامة ندوات للتعريف بالتراث الثقافي والطبيعي المحلي.

الفنون الشعبية: تراث محلي موروث

أدى الطابع التاريخي للمنطقة، الذي يحكمه مجموعة من التقاليد والأعراف، إلى ظهور تراث غني من الفنون الشعبية، كتعبير فني عما تزخر به القصيبة من تراث محلي.

أحيدوس: ولعل من أبرز الفنون الشعبية بالمنطقة نجد "أحيدوس" أحد فنون الغناء الجماعي الاستعراضي للقبائل الامازيغية في منطقة الأطلس المتوسط، الذي يميز موطنه الأصلي، المجال الطبيعي والجغرافي الذي تكتمل فيه العناصر المكونة له من شعر وغناء ورقص وإيقاع. يعتبر البندير (أو الدف) وباللغة الأمازيغية (تالونت) الآلة والأداة الموسيقية الوحيدة المستعملة في الإيقاع وترافقه بالدف على الأكف تارة والأيدي تارة أخرى.

ويصمم رقصاته وأداته رئيس الفرقة أو المقدم في لوحات متناسقة موسيقيا وحركيا. وتنبع أشعار أحيدوس وكلماته من الحياة اليومية التي تعيشها الساكنة المحلية (أعراس، ختان) وتتعدى هذا المجال الجغرافي في بعض الأحيان لتشمل بعض الأحداث الوطنية والجهوية والدولية.

إمديازن: الشعر الأمازيغي يرن في أصوات (إنشاذن) قصائدهم مرآة تصف الأحوال بواقعية وتواكب الحياة اليومية، تنظم للتعبير عن الأفراح و المسرات تارة، و للبوح بالأحزان و المعاناة تارة أخرى، ولنا مثال في هذا الصدد حيث يقول الشاعر:

أو وراش ريغ اتكد أرومي أوا وراش ريغ الكندورة استزمم أرومي

الترجمة بالعربية:

لا أريدك أن تكون نصرانيا ولا أريدك لباسا عسكريا مسجلا من طرف النصراني

يكشف هذا المقطع عن العمل التحريضي الذي لعبه الشعراء (إنشاذن) في اختيار الحرية عوض خدمة المصالح الفرنسية والتسجيل في قوائم العمال، وقاطعوا بذلك التسجيل في لوائح المجندين مع جيش الاحتلال الفرنسي.

نستخلص من هذا التشخيص أهمية الموارد الطبيعية وأبرز الإمكانات الثقافية التي يزخر بها المنتوج البشري للمجال المدروس، المتمثلة أساسا في المعطيات التاريخية، التراث المعماري، الصناعة التقليدية، عادات وتقاليد السكان والمواسم والطقوس الاحتفالية... وتشكل كلها قاعدة غنية واعدة لبرامج وسياسات التنمية المحلية. فإلى أي مدى تم استثمارها؟ وما أفاق تثمينها؟.

التنمية السياحية بمدينة القصيبة بين التثمين والتحديات:

الرؤية الإستراتيجية لتأهيل مدينة القصيبة وتثمين الموارد الترابية:

تتوفر مدينة القصيبة على مؤهلات سياحية مهمة تتمثل في الجبال، المناخ، المجاري المائية، العيون، الغطاء الغابوي والوحيش، بالإضافة إلى التراث المعماري، الصناعة التقليدية، والمواسم والطقوس الاحتفالية... ظلت هذه المقومات تعاني من التهميش حتى فقدت المدينة مكانتها السياحة على الصعيد الجهوي والوطني، ولم يتم الاستفادة منها، وتوظيفها في مسلسل التنمية الاقتصادية للمدينة.

وقد ثم وضع تصور لتأهيل الأنشطة الاقتصادية بالمدينة لخلق منتوج سياحي تنافسي عبر الرفع من جاذبية المنطقة السياحية المحددة في تصميم التهيئة لفضاء تاغبالوت، وتعزيز دينامية الأنشطة الاقتصادية، وذلك من خلال:

هيئة الموقع السياحي تاغبالوت:

غيير مكان السوق الأسبوعي وبناء مركز متعدد الوظائف مكانه.

إنشاء منطقة للأنشطة التجارية.

إنشاء محلات للتجارة.

يتبين، انطلاقا من هذه المشاريع، جوهر تصور التأهيل الاقتصادي للمجال المدروس، والذي يعزز من الوظيفة السياحية للمدينة تماشيا مع ما تم طرح في التصميم الجهوي لإعداد التراب "مدينة القصيبة مدينة سياحية-خدماتية" من جهة، وتعزيز الاقتصاد المحلي بخلق منطقة للأنشطة الاقتصادية ومنطقة للتجارة، والتي قد تخفف من حدة الهشاشة السوسيو-اقتصادية التي تطبع المجال القصباوي منذ عقود، وبالتالي قد تساهم في تقوية مكانة الأنشطة السياحية ضمن النسيج الاقتصادي حتى تصبح مدينة القصيبة مركزا سياحيا ذات إشعاع وطني وجهوي.

تأهيل الموقع السياحي تاغبالوت نوحليمة:

من أجل استثمار الإمكانيات السياحية التي تزخر بها القصيبة، وضع الفاعلون المتدخلون في مجال الدراسة أمام أعينهم إعادة الاعتبار للمؤهلات السياحية عبر وضع عدة مشاريع للتنمية السياحية، حيث شرعت الجماعة الحضرية في إنجاز الشطر الأول من أشغال تأهيل مصطاف تاغبالوت بتدخل مجموعة من الشركاء منهم: ولاية جهة بني ملال-خنيفرة "الإنعاش الوطني"، والمجلس الإقليمي والمجلس الجهوي ووكالة حوض أم الربيع، وقد شملت أهم البرامج:

- تهيئة واد تاغبالوت نوحليمة وشعبة المخيم لحماية المصطاف تاغبالوت من الفيضانات.
- تهيئة المدخل الرئيسي للمصطاف على مسافة 800 متر ، ستشمل تزفيت الطريق وتوسيعه وإنارتها وتهيئة الأرصفة.
- إعادة تهيئة حدائق مصطاف تاغبالوت بتشذيب وإزالة الأشجار التي تشكل خطرا على المصطافين انطلاقا من محضر وقرار اللجنة المختلطة التي قامت ببحث ميداني لتحديد الأشجار الواجب قطعها.

- تحسين وإضافة كراسي عمومية للمصطاف، وربط مصطاف تاغبالوت بحديقة الشرشورا؛ قصد توسيع المدار السياحي لتاغبلوت.
- تخصيص جزء من مصطاف تاغبالوت لمقاهي مجهزة للساكنة المحلية.
- تهيئة حدائق تاغبالوت، وإنشاء حائط وقائي ضد انجراف التربة.

صورة رقم 3: تهيئة بحيرة إصطناعية بمصطاف تاغبالوت

المصدر: عمل ميداني 2017

ونظرا للتأثير الإيجابي لمشاريع التأهيل السياحي لمصطاف تاغبالوت على الجانب السوسيو-إقتصادي للساكنة المحلية، ثم تنزيل أول منطقة تجارية من رؤية 2015-2017، حيث عملت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية على تمويل مشروع بناء محلات تجارية بمساهمة قدرة ب 939372 درهم، بينما ساهمت الجماعة الحضرية ب 350.000 درهم، والصورة التالية توضح درجة تقدم الأشغال:

الصورة 4: مشروع تهيئة محلات تجارية بمصطاف تاغبالوت

المصدر: عمل ميداني 2017

الغابة: رؤية جديدة للمساحات الخضراء:

في إطار مقاربة جديدة للمجالات الخضراء بالمنطقة سواء الغابة الحضرية أو غابة تيزي نايت ويرة، أقدمت المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر بشراكة مع باقي المؤسسات المعنية بالقصيبة على تهيئة المجال الغابوي بالمنطقة والذي خصصت له ميزانية تبلغ 4500000 درهم، والتي مست الجوانب التالية:

- تشجيع الأنشطة الترفيهية وأماكن استقبال عمومية.
- تثمين وحماية المؤهلات المشهدية والثقافية والإيكولوجية.
- حماية القطاع الغابوي من السلوكيات غير العقلانية.
- تحسين النظم الإيكولوجية المتدهورة.
- تطوير محاصيل الأشجار على المنحدرات للحد من انجراف التربة.
- كما تم وضع برنامج لتأهيل مدارات سياحية بميزانية تقدر بحوالي 54 مليون سنتيم.
- لا شك أن فاعلية هذه المشاريع ستمكن من تثمين الموارد والتأثير إيجابيا على التنمية المحلية.

ثمين الصناعة التقليدية المحلية:

تفعيلا للمخطط الجهوي للصناعة التقليدية، تمت بلورة محور استراتيجي بناء على العمل الميداني الجاد مع جميع الفاعلين المحليين وجميع الشركاء المحتملين، والذي حمل تصورا يستجيب لحاجيات وإنتظارات الصناع التقليديين بمدينة القصيبة، وذلك من خلال:

- تخصيص مجال بالصناع التقليديين لعرض منتوجاتهم خلال موسم آيت ويرة.
- تخصيص حيز للصناع التقليديين في عطلة الصيف لعرض منتوجاتهم بمصطاف تاغبالوت.
- دراسة تهم تأهيل محالات الصناعة التقليدية بحي العين.
- دعم جمعيات الصناعة التقليدية بالمدينة.

ينتظر من هذه المشاريع أن يصبح المنتوج المحلي موردا فعالا في التنمية السياحية، وهذا لن يتحقق إلا من خلال توفير الدعم اللازم للصناع التقليديين، وأخذ بعين الاعتبار كل التحديات التي تعيق تسويق وتثمين منتوجاتهم، وتوفير المزيد من الفرص لعرضها خاصة خلال العطلة الصيفية، بحكم الدينامية والرواج التي تشهده المدينة بمقدم الزوار، وبعودة المهاجريين لقضاء العطلة الصيفية، ولإبراز التفاعلات القائمة بين الموارد الترابية والتنمية السياحية، ندرج الخطاطة التالية:

خطاطة رقم 1: تثمين الموارد الترابية والتنمية السياحية

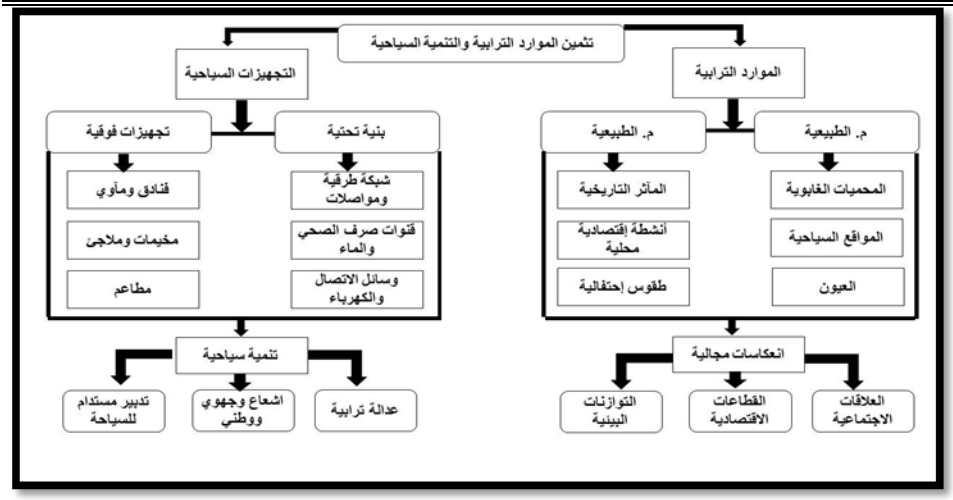

المصدر: تركيب انطلاقا من تصميم الجهوي لاعداد التراب لجهة بني ملال – خنيفرة

تثمين الموارد والتنمية السياحية بمدينة القصيبة: التحديات الكبرى:

تفعيل دور الموارد الترابية بمدينة القصيبة في التنمية السياحية رهين بتجاوز العديد من الإكراهات التي تطبع المجال القصباوي، وهي:

- ضعف تدخل الإدارات الوصية على القطاع السياحي، بشكل يضمن مخططات وبرامج ناجحة، فالمندوبية الإقليمية للسياحة غير قادرة لوحدها على تنشيط القطاع السياحي.
- المشكل العقاري، الذي يشكل أهم التحديات أمام الفاعل المحلي والمستثمرين؛ لكون المدينة تحيط بها الجبال من كل النواحي بإستثناء واجهة مدخل المدينة، والتي هي بدرها تضم عدد من الأراضي الزراعية.
- بنية فندقية ومطعمية هزيلة، فمستوى تجهيزات المدينة لا يرقى إلى تطلعات وظروف استقبال السياح.
- إرتفاع تكاليف الإيواء في ظل محدودية العرض كرس سياحة العبور.
- موسمية النشاط السياحي أدى إلى ضعف تأثيرها على الأنشطة المرتبطة بالموارد المحلية كالصناعة التقليدية.
- تأخر انتهاء أشغال مصطاف تاغبالوت، وهو الذي كان يشكل مورد رزق العديد من الأسر.

من أجل التخفيف من حدة هذه التحديات التي تعيق مساهمة الموارد الترابية بمدينة القصيبة في التنمية السياحية، ومن أجل إعادة تنظيم هذا القطاع بالمنطقة، يمكن طرح العديد من الاقتراحات العملية، التي يمكن الرهان عليها لنهوض بالموارد الترابية بمدينة القصيبة، حتى تشكل دافعا فعليا للتنمية السياحية؛ ويمكن تركيزها فيما يلي:

تثمين السياحة الجبلية:

-تأهيل البنية التحتية بمصطاف تاغبالوت.

-شجيع الاستثمارات الخاصة فيما يخص إحداث الفنادق.

الصناعة التقليدية:

-خلق فضاءات لإنتاج تسويق منتجات الصناعة التقليدية.

-دعم مشاركة الصناع التقليدين في المعارض المحلية والجهوية والوطنية.

التجارة والفلاحة:
-تعزيز مكانة السوق الأسبوعي.
-تسهيل اجراءات استثمار المهاجرين.
-تشجيع إحداث معاصر الزيتون.
الحدائق العمومية:
-إعادة تأهيل الحدائق الموجودة.
-توفير العقار لإحداث حدائق جديدة.
-الحفاظ على المجالات الخضراء.
المجال الغابوي:
-حماية المجال الغابي من التوسع المجال العمراني.
-تشجير المجالات المتدهورة.
-مراقبة الغابة من التفحيم السري.
-إحداث مجالات للترفيه بالغابة الحضرية.
التكوين والبحث العلمي:
-توفير تكوين مهني يهم السياحة والفندقة والطبخ والمرافقين بمدينة القصيبة.
-عقد ندوات وانشطة ترويج للمنتوج كالمنتديات الثقافية والمواسم والمهرجانات.

خاتمة:

انطلاقا مما سلف تبين أن الموارد الترابية لها علاقة وطيدة بأي مشروع سياحي مستدام ومندمج يهم التنمية السياحية بمدينة القصيبة، وهذا بفعل تفاعل المنتوج السياحي الطبيعي والبشري، مما أفرز منتوجا سياحيا يتطلب تظافر جهود الفاعليين لتثمين هذه الموارد حتى تصبح قابلة للاستغلال والاستثمار من اجل تطوير هذا القطاع الحيوي، الذي يمكن أن يشكل مدخلا لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية من جهة، وأن يساهم في التخفيف من الضغط واستنزاف الموارد المحلية.

وبالتالي لتجاوز الإكراهات التي تطبع مدينة القصيبة تتطلب تعبئة الموارد المادية لتنمية السياحية تنطلق من المؤهلات التي تتوفر عليها المنطقة وفق الوظائف المنتظرة منها على المستوى المحلي والجهوي، وهذا بغية الحفاظ على التوازن المجالي، من خلال التخفيف من حدة الهجرة القروية، وتنويع الأنشطة، وتوسيع دائرة الاستقطاب السياحي.

وهذا لن يتم إلا من خلال تظافر جهود الفاعلين لتعزيز من فرص التنمية الترابية، التي تدمج الفاعل، والمجتمع، والموارد الترابية، ومن خلال توفير المال والعقار الضروريين.

قائمة المراجع:

1. التشخيص التشاركي للجماعة الترابية القصيبة، بلدية القصيبة 2016.
2. عمرو إديل(2005)،"تساؤلات حول المؤهلات السياحية للأطلس المتوسط الشمالي الشرقي ودورها في التنمية المحلية"، دفاتر جغرافية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز- فاس، ع2.
3. فضيلة شتو(2005)، السياحة والتنمية المحلية بالأطلس المتوسط حالة إفران وإيموزار كندر، دفاتر جغرافية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الانسانية –ظهر المهراز- فاس، ع2.
4. محمد بريان، عبد القادر القيطوني، محمد الناصيري، عبد القادر كعيوة، فلورانس تروان(2006)، "المغرب مقاربة جديدة في الجغرافية الجهوية"، مطبعة المعارف، الرباط.
5. محمد البكراوي(2000)، مقاومة تادلا للاحتلال الفرنسي، معارك بني ملال والقصيبة نموذجا، ندوة علمية "المقاومة بجهة تادلة-أزيلال 1908–1956 السياق والخصوصية"، المعاريف الجديدة، الرباط.

6.Abdellatif FADLOULLAH(2002), Importance et Aspects du Phénomène de Littoralisation de la Population au Maroc, UNIGEM, n°1 et 2.
7.Ali FERTAHI(2010), Capter de l'Atlas éléments d'éthographie remémorés, éd, Institut de la culture amazigh.
8.Pegui Yannick Felix(2012), l'attractivité territoriale : fondements théoriques et indicateurs de mesure. Rapport.
9.Satre Buisson Joël(2014), Enseignant IAE Lille 1 - Consultant territorial : territoriale: Constats et leviers pour agir L'attractivité localement.
10.Badrani S(2006), L'Algérie veut ses pôles de compétitivité : Territoires en quête d'avantage compétitifs, in Article du journal El WATAN du 11 Décembre 2006.
11.Benoit Meyronin(2009), Le marketing Territorial : enjeux et pratiques, Paris, Vuibert.